مقتضيات صيغتي الإفراد والجمع من جهة العلائق الإسنادية في القرآن الكريم

د. ياسر محمد الخليل. أستاذ النحو واللغة المشارك،
جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية.

الملخص: البحث الذي بين يديك يتناول مقتضيات صيغتي الإفراد والجمع من جهة العلائق الإسنادية في القرآن الكريم.

إن من وسائل القرآن الكريم في عرضه للآيات القرآنية؛ اعتماده توظيف بعض الكلمات في صورتها المفردة علما أن القياس توظيفها في صورتها الجمعية في السياق، مراعاة للتلوين الصوتي لهذه الكلمات، أو قصداً لما يراد من وراء هذا التلوين من توابع دلالية وجمالية موظفة في هذه السياقات. فالخروج عن السياق يعد من الظواهر اللغوية التي جاءت في القرآن الكريم، حيث ترد بعض الألفاظ مجموعة، والأخرى في السياق مفردة، ومن ذلك ما نلمسه في بعض الآيات الكريمة، حيث نجد القرآن الكريم يوظف كلمات في هيئتها المفردة دون العروج على جمعها.

وقد تتبع الباحث هذه الآيات فكانت كثيرة فاكتفيت بنماذج منها لتوضيح الفكرة من البحث، حيث أذكر الآية وأوضح السياق الذي أتت به على غير ما يقتضيه السياق في اللغة، ثم كانت الخاتمة باستجلاء لأهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

Abstract: This paper deals with the requirements of single and plural forms within the Predication Relations in the Holy Qur'an.

One means of the Holy Quran in showing its verses is via implication of certain words via their its singular form instead of their plural form which is required by the analogy according to the context. The reason behind this may be related to the coloration sounds of these words or related to the resulting semantic and artistic used in the context. Going out of the context is one of the linguistic phenomena that exist in the Holy Qur'an، where some words come in a plural form and others in a singular form. This can be seen in a number of verses.

The researcher has carefully considered these verses which are numerous. The study is limited to some examples to clarify the idea. The work is based on mentioning the verse with an illustration of the context in which it is introduced on the contrary of the context requirement in the language. Finally، the paper concludes with some important results.

فإن من وسائل القرآن الكريم في عرضه للآيات القرآنية؛ اعتماده توظيف بعض الكلمات في صورتها المفردة علما أن القياس توظيفها في صورتها الجمعية في السياق، مراعاة للتلوين الصوتي لهذه الكلمات، أو قصداً لما يراد من وراء هذا التلوين من توابع دلالية وجمالية موظفة في هذه السياقات. فالخروج عن السياق يعد من الظواهر اللغوية التي جاءت في القرآن الكريم، حيث ترد بعض الألفاظ مجموعة، والأخرى في السياق مفردة، ومن ذلك ما نلمسه في بعض الآيات الكريمة، حيث نجد القرآن الكريم يوظف كلمات في هيئتها المفردة دون العروج على جمعها، ومن ذلك توظيف كلمة (الأرض) التي لم ترد في القرآن الكريم إلا مفردة دائماً في كل المواضع التي ذكرت فيها. وقد تتعرض الآية لأنواع كثيرة من التصرف منها الإفراد في سياق الجمع. فالقرآن الكريم في إعجاز مستمر، وعجائب لا تنقضي، ولاسيما نظمه الذي حير الألباب، ذلك النظم الذي تتفاعل فيه المفردات وتتظافر فيه الفنون، ليقف العبد مشدوها، عندما يطلع على أسرار ذلك.

فالخروج عن السياق أو العدول عنه من المفرد إلى الجمع خروج عن النمط المتعارف عليه في النظام اللغوي، وهو نوع من أنواع المجاز عند البعض.

قال أبو عبيدة: "ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى هذا الواحد على الجميع، قال: (يُخْرِجُكُم طِفْلاً)، في موضع: (أطفالا). وقال: (إنما المُؤْمِنُون إخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُم) ....، وقال: (وَالمَلَك عَلَى أَرْجَائَها) (697)، في موضع: (والملائكة) " [1].

(1) مجاز القرآن 9/1 .

و يرى ابن جني أنه من باب أجناس شجاعة العربية، وذلك أنَّ من شأن العرب التوسع في كل شيء فما يأتي على خلاف الأصل فهو على سعة الكلام، قال: " وكيف تصرفت الحال فالاتساع فـاشٍ في جميع أجناس شجـاعة العـربية" [1].

وذهب الزركشي إلى أنه من باب الالتفات قال:" ومما يقرب من الالتفات أيضا الانتقال من خطاب الواحد والاثنين والجمع إلى خطاب آخر" [2].

يقول البقاعي: " ومما هو وثيق النسب بشجاعة العربية في الذكر الحكيم إفراد ما يشير ظاهر الحال إلى جمعه أو جمع ما يشير ظاهر الحال إلى إفراده وذلك من تخريج البيان على غير ظاهر الحال تناسقا مع السياق ولقصد المنصوب له الكلام "[3].

هذا العدول أو المخالفة عن السياق بين المفرد وما يقتضيه الجمع إنما هو علاج لاختلاف بين ظاهر اللفظ وما يتحمله من تأويل أو بين العبارة المنطوقة والقواعد. فعند ذكر كلمة (السماء) مجموعة جيء بكلمة (الأرض) معها مفردة في كل موضع، ولما احتاج القرآن إلى توظيف الجمع لكلمة (الأرض) عدل عنها إلى تعبير يفيد الجمع لكنه ليس بجمع لها، وذلك في قوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ)[4]، فلم يقل (سبع أرضين) على القياس، واكتفي بجمع لفظ (مثلهن). فكلمة (الأرض) لو أريد جمعها على قياس جموع التكسير لقيل (أراضٍ) كأجمال أو(أُرُوض) كفلوس . إلا أن هذا الأمر مستثقل لأن جمع

(1) الخصائص 2/ 449.

(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي 334/3 .

(3) الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن 367/1 .

(4) الطلاق: 12.

(الأرض) على هذا النحو ليس فيه من الفصاحة والحسن والعذوبة ما في لفظ السماوات وأنت تجد السمع ينبو عنه بمقدار ما يستحسن لفظ السماوات [1].

من فرائد التعبير في النص القرآني في إطار السياق االتركيبي، تبني القرآن الكريم لفنية العدول عن التعبير بالكلمة المفردة إلى التعبير بالتركيب، وعن التعبير بالتركيب إلى التعبير بالكلمة المفردة، وذلك في إطار تبادلي فريد [2].

ومن ذلك ذكر السماء والأرض بين الإفراد والجمع، حيث وقع في القرآن ذكر الأرض فإنها مفردة لم تجمع بخلاف كلمة السماء فقد جمعت (السماوات) ولهذا فعند ذكر جمع الأرض (الأرضين) لم تجمع على القياس اللغوي. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ ﴾ الطلاق: 12.

يلاحظ في ذكر صيغة المفرد مع ورود صيغة الجمع ما يؤثر على المعنى المراد من ذلك، وقد لاحظت ذلك من خلال كتاب:(الإتقان في علوم القرآن) تحت عنوان:(قاعدة في الإفراد والجمع) حيث قال:" من ذلك السماء والأرض بين الإفراد والجمع، والسر في ذلك حيث وقع في القرآن ذكر الأرض فإنها مفردة ولم تجمع–بخلاف السماوات–لثقل جمعها وهو (أرضون) ولهذا لما أريد ذكر جميع الأرضين قال: {ومن الأرض مثلهن} الطلاق: 12" .

ذكر السيوطي في هذه القاعدة التي ذكرها في كتابه[3]:(قاعدة في الإفراد والجمع) وهو ذكر الكلمة مفردة مع سياق الجمع أو ذكر المفرد مرة وذكرها مجموعا مرة أخرى وفي سياق آخر، إلا أن المقصود من هذا البحث أن هناك ألفاظا جاءت في لغة التنزيل لازمت صيغة الإفراد، وفي المقابل كلمة أخرى

(1) بدائع الفوائد 114/1 .

(2) أرشيف منتدى الفصيح 2/ المكتبة الشاملة .

(3) الإتقان في علوم القرآن 2/ 355.

جاءت مجموعة عند ذكرها في السياق نفسه، علما أنها جاءت في كتب اللغة على أنها تجمع، إلا أنها لم تجمع في القرآن الكريم، حيث تتبعت هذه المسألة في كتب التفسير؛ لأني لم أجد من أشار إليها من علماء النحو رحمهم الله تعالى[1].

فعندما قرأت كلام السيوطي–رحمه الله تعالى– شدني كلامه :(من ذلك السماء والأرض بين الإفراد والجمع والسر في ذلك) حيث وقع في القرآن ذكر الأرض فإنها مفردة ولم تجمع بخلاف السماوات لثقل جمعها وهو أرضون ولهذا لما أريد ذكر جميع الأرضين قال: {ومن الأرض مثلهن}.

تتبعت ذلك فلاحظت أن الكلمة المفردة قد اقترنت مع كلمة أخرى بسياق واحد لكنها أتت بصيغة الجمع على غير القياس، ومن ذلك على سبيل المثال.

إفراد الأرض وجمع السماء:

ومن ذلك قـــوله تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾ البقرة: 33.

قال القرطبي:" وجمع السموات لأنها أجناس، كل سماء من جنس غير جنس الأخرى، ووحد الأرض لأنها كلها من تراب " [2].

ذكر الألوسي قولا لأبي حيان[3]: " لم تجمع الأرض لأن جمعها ثقيل وهو مخالف للقياس[4]، ورب مفرد لم يقع في القرآن جمعه لثقله وخفة المفرد" [5] .

([1]) على حد علمي، والله أعلم .

([2]) الجامع لأحكام القرآن 192/2.

([3]) لم أقف على قول أبي حيان في كتبه.

([4]) هذا الجمع وارد ومستعمل، لكنه مخالف للقياس من جهة أن كلمة "أرض" جُمِعتْ جمع مذكر سالم، وخالفت شروط هذا الجمع؛ فهي ليست علَمًا لمذكر عاقل، ولا صفة لمذكر عاقل، لذا فالجمع الذي كان يقتضيه القياس فهو: جمع المؤنث؛ لأن الكلمة "أرض" تدل على مؤنث.

([5]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 429/1، وينظر: الحاوي الكبير 243/ 94.

وقيل: إن جمع السماوات وإفراد الأرض لأن السماء جارية مجرى الفاعل والأرض جارية مجرى القابل فلو كانت السماء واحدة لتشابه الأثر وهو يخل بمصالح هذا العالم، وأما الأرض فهي قابلة والقابل الواحد كافٍ في القبول. وحاصله: أن اختلاف الآثار دل على تعدد السماء دلالة عقلية والأرض وإن كانت متعددة لكن لا دليل عليه من جهة العقل فلذلك جمعها دون الأرض[1].

وقال بعض المحققين:" جمع السماوات لأنها طبقات ممتازة كل واحدة من الأخرى بذاتها الشخصية كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: 29.

سواء كانت متماسة كما هو رأي الحكيم أو لا ، كما جاء في الآثار أن بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام مختلفة الحقيقة لما أن الاختلاف في الآثار المشار إليه بقوله تعالى:﴿فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ فصلت: 12.

يدل عليه، ولم يجمع الأرض؛ لأن طبقاتها ليست متصفة بجميع ذلك فإنها، سواء كانت متفاصلة بذواتها، كما ورد في الأحاديث من أن بين كل أرضين كما بين كل سماءين أو لا تكون متفاصلة كما هو رأي الحكيم غير مختلفة في الحقيقة اتفاقًا "[2].

فلفظ السماوات ورد في القرآن مجموعاً ومفرداً، وأما لفظ الأرض فلم يرد في القرآن إلا مفرداً، ولذا اختلف العلماء في سبب ذلك على أقوال:

([1]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 77/4، وينظر: مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم محرم – صفر 1436 هـ = نوفمبر – ديسمبر 2014م ، العدد : 1.

([2]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 429/1.

القول الأول: أن السماوات جمعت لأنها سبع، والأرض أفردت لأنها واحدة، وحملوا قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ الطلاق: 12 .

على أن الأرض كرة واحدة منقسمة إلى سبعة أقاليم [1].

القول الثاني: أن نسبة سعة الأرض بالنسبة إلى السماوات كحصاة في صحراء، فالأرض وإن تعددت كالواحدة بالنسبة للسموات، فاختير لها اسم الجنس[2].

القول الثالث: أنها بمنزلة السفل والتحت ولكن وصف بها هذا المكان المحسوس فجرت مجرى قولهم: امرأة زور وضيف، فلا معنى لجمعهما كما لا يجمع الفوق والتحت والعلو والسفل فإن قصد المخبر إلى جزء من هذه الأرض الموطوءة وعين قطعة محدودة منها خرجت عن معنى السفل الذي هو في مقابلة العلو فجاز أن تثنى إذا ضممت إليها جزءا آخر. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» [3].

فجمعها لما اعتمد الكلام على ذات الأرض وأثبتها على التفصيل والتعيين لآحادها دون الوصف بكونها تحت أو سفل في مقابلة علو وأما جمع السموات فإن المقصود بها ذاتها دون معنى الوصف فلهذا جمعت جمع سلامة لأن العدد قليل وجمع القليل أولى به بخلاف الأرض فإن المقصود بها معنى التحت والسفل دون الذات والعدد، وما رواه النسائي وغيره في الحديث القدسي: "... لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ " [4].

([1]) ينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل 350/1، وفتح الرحمن في تفسير القرآن 370/2.

([2]) ينظر: بدائع الفوائد 155/1، البرهان في علوم القرآن 6/4.

([3]) صحيح البخاري حديث رقم:(3198)، وصحيح مسلم حديث برقم: (1610).

([4]) السنن الكبرى حديث برقم (10602).

والجواب عن ذلك من وجهين:

أولاً: فإن لفظ السماء هو اسم جنس، يطلق على المقابل للأرض، والأصل فيه التأنيث؛ كقوله تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ الانشقاق: 01 . وقد يذكَّر كقوله تعالى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴾ المزمل:18.

ويستعمل للواحد؛ كما في الآيات السابقة، وللجمع؛ كما في قوله تعالى:﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ ﴾ البقرة: 29

و قد يطلق لفظ (السماء)، ويراد به العلوُّ [1] . فكل سماء بالإضافة إلى ما دونها فسماء، وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض؛ إلا السماء العليا فإنها سماء بلا أرض[2]. أما لفظ الأرض فإنه في الأصل مصدر لقولك: أَرَضَ، على وزن "فعَل " كضرب، ويُعبَّر به عن أسفل الشيء؛ كما يعبَّر بالسمتاء عن أعلى الشيء [3].

أما قولهم: الأراضي، والأرَضون فهما خلاف القياس، يضاف إلى ذلك أنه ليس فيهما من الفصاحة والعذوبة ما في لفظ السماوات، بدليل أنك تجد السمع ينبو عنهما بقدر ما يستحسن لفظ السموات، فلفظ السموات يلج في السمع بغير استئذان لنصاعته، وعذوبته. أما لفظ الأراضي، أو الأرضون فلا يأذن له السمع إلا على كره، ويؤيد ذلك ما نقله الآلوسي عن أبي حيان[4].

([1]) تفسير ابن عرفة 262/4، ومحاسن التأويل 286/9، والتحرير والتنوير 324/17.

([2]) المفردات في غريب القرآن 427، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 262/3، تفسير القرآن الحكيم 18/12.

([3]) ينظر: المفردات في غريب القرآن 73، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ 85/1.

([4]) لم أقف على قول أبي حيان في كتبه .

قال الآلوسي في "روح المعاني": قال أبو حيان: لم تجمع "الأرض" لأن جمعها ثقيل وهو مخالف للقياس، ورب مفرد لم يقع في القرآن جمعه لثقله وخفة المفرد، وجمع لم يقع مفرده كـ "الألباب"[1].

وهنا سؤال يطرح نفسه: جمع الله تعالى: «السماوات» وأفرد «الأرض»؛ مع أنها على ما يقتضيه السياق، والمساواة بين الألفاظ من محسنات الكلام، فإذا جمع أحد المتقابلين ينبغي أن يجمع الآخر، ولذا عيب على أبي نواس قوله:

ومالك فاعلمن فينا مقالا *** إذا استكملت آجالا ورزقا [2]

الأمر الآخر: قول أبي حيان:" الأرض: مؤنثة، وتجمع على(أُرْضٍ) وَ(أَرَاضٍ) وبالواو والنون رفعا وبالياء والنون نصبا وجرا شذوذا، فتفتح العين، وبالألف والتاء، قالوا: أَرِضَاتٍ، والأراضي جمع جمع كأواظب"[3].

حيث ذكر جمع المؤنث لكلمة أرض (أرضات)، وهذا يقودنا إلى أن القضية على غير ما ذكر أنها قضية ثقل أو خفة، ودليل ذلك قوله تعالى :(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) الطلاق:12. لم يذكر الجمع إنما أشار إليها فقط، علما أن النحاة أشاروا إلى أنها تجمع جمع مذكر سالم وجمع مؤنث. لذا يمكن القول: إن السبب يكمن في عدة أوجه:

1- رعاية الفاصلة:

قال السيوطي:" تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام" [4]. إذا هي الكلمة التي تختتم بها الآية من القرآن للمناسبة بين الفاصلة والآيات، ولها دور في كشف جماليات

([1]) وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 429/1.

([2]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر 280، ونصرة الثائر على المثل السائر 90.

([3]) البحر المحيط 1/ 100، وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (أرض).

([4]) البرهان 334/3، وينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم 1262/2.

الأداء الصوتي الذي تتميز به تلاوة القرآن الكريم، فالقرآن ترى فيه من البراعة في تنويع مفاتيح البدء والانتقال في السورة الواحدة بيسر وسهولة [1].

ويقوي ذلك قولهم: جمع لفظ السماء، ولم يجمع لفظ الأرض. أما قولهم: الأراضي، والأرَضون، فهما خلاف القياس. يضاف إلى ذلك: أنه ليس فيهما من الفصاحة والعذوبة ما في لفظ السموات، بدليل أنك تجد السمع ينبو عنهما بقدر ما يستحسن لفظ السموات؛ فلفظ السموات يلج في السمع بغير استئذان، لنصاعته وعذوبته. أما لفظ الأراضي، أو الأرضون، فلا يأذن له السمع إلا على كره. لذا يبرز دور الفاصلة وأهميتها في رعاية المناسبة التي اقتضتها لفظا وصوتا مع الاعتبار للمعنى وأهميته في الدلالة الصريحة المأخوذة من اللفظ. قال الزمخشري:" رب مفرد لم يقع في القرآن جمعه لثقله وخفة المفرد، وجمع لم يقع مفرده كالألباب " [2].

2- المعنى:

وهذا ما يوضحه قول السيوطي:" وأما السماء فذُكرت تارةً بصيغة الجمع، وتارة بصيغة الإفراد لنكتةٍ تليقُ بذلك المحلّ، كما أوضحتُه في أسرار التنزيل. والحاصل أنه حيث أريد العدد أتيَ بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة، نحو قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ الحديد: 01. أي: جميع سكانها على كثرتهم. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ الحشر: 24. أي: كلّ واحدة على اختلاف عددها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ النمل: 65. إذ المراد نَفْيُ علم الغيب عن كلِّ مَنْ هو في واحدة من السماوات،

([1]) ينظر: النسق القرآني دراسة أسلوبية 86 . لمحمد أديب الجاجي .

([2]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني 429/1.

وحيث أريد الجهة أتت بصيغة الإفراد، نحو قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الذاريات: 22 . وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: الملك:16 . أي من فوقكم[1]

3- أصل الأشياء: وفقاً لما ذُكر في القرآن الكريم فإن الله خلق الماء أول ما خلق، ثم خلق الأرض على الماء، ثم خلق الجبال أوتاداً لحفظ توازنها، ثم خلق السماء سقفاً محفوظاً من غير عمد، ثم خلق سبعاً طباقاً، ومما ذكر أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا مثبت في التفاسير بموضوع خلق الأرض والسماء. قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ البقرة: 29 .

قال الطبري:" خلق الله الأرض قبل السماء" [2]. وقال ابن كثير عند تفسير الآية السابقة: " ففي هذا دلالة على أنه تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولا ثم خلق السماوات سبعا، وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك [3]. وعن مجاهد قوله: "خلق الله الأرض قبل السماء، فهذه دالة على أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعا بين العلماء، إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض " [4]

وسلم ومثبتا في الإسراء و المعراج [5].

إذا فالأرض أصل، حيث خلقت قبل السماء بدليل الآية الكريمة. وأصل الأشياء المفرد ثم يكون المثنى والجمع، وأصل العدد الإفراد[1].

([1]) الإتقان في علوم القرآن 346/2، وينظر: مباحث في علوم القرآن للقطان 205.

([2]) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن 436/1.

([3]) تفسير القرآن العظيم 231/1، وينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم 151.

([4]) تفسير القرآن العظيم 123/1، والإعجاز العلمي في القرآن الكريم 151.

([5]) ينظر: صحيح البخاري (باب المعراج) 52/5، و صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان 237/1.

قال البطليوسي:" اعلم أن الواحد أصل العدد ومبدؤه وهو غاية لوجود العدد" [2]. وقال البقاعي:" الواحد الذي هو أصل العدد لا انتهاء له أصلاً " [3].

4- قد يكون للتقليل من سهولة الأمر مقارنة له بأمر آخر: خلق الأرض مقارنة لخلق السماء ومن بها أهون على الله، فناسب ذكر الواحد لقلته أو لتصغيره عن غيره الكثير، وهذا ما أشار إليه ابن جني رحمه الله بقوله:" وحَسَّن لفظ الواحد هنا شيء آخر أيضًا؛ وذلك أنه موضع إضعاف للعباد وإقلال لهم، فكان لفظ الواحد لقلته أشبه بالموضع من لفظ الجماعة؛ لأن الجماعة على كل حال أقوى من الواحد، فاعرف ذلك " [4].

فالأخذ بتعليل الثقل أو الخفّة، فلا يُعْتَدُّ به؛ لأَنّ الثقل والخفّة مصطلحان لا يمكن الركون إليهما، فما يكون ثقيلاً في لسان معين قد يكون خفيفاً في لسان آخر، ومعيار الخفة والثقل لا يقوم على طريقة ترتيب حروف الكلمة الواحدة، وعلى عدد حروفها، فالعربي كان يحب الخفة في الكلام ويبعد ما أمكن عن كل ما ثقل عليه.

يقول القاضي عبدالجبار: "فالفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضمِّ على طريقة مخصوصة، ولا بُدَّ مع الضمِّ من أن يكون لكلِّ كلمة صِفَة، وقد يجوز في هذه الصفَة أن تكون بالمواضَعَة التي تتناوَل الضم، وقد تكون الإعراب الذي له مدخلٌ فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع؛ لأنه إمَّا أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها، ولا بُدَّ من هذا في كل كلمة، ثم لا بُدَّ من اعتبار مثله من الكلمات إذا انضمَّ بعضها إلى بعض؛

([1]) ينظر: الأزمنة والأمكنة 58.

([2]) الحدائق في المطالب العالية 111/19.

([3]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 192/19.

([4]) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها 202/1، و دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة 168.

لأنه قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها، وحركاتها، وموقعها، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه، إنما تظهر الفصاحة بهذه الوجوه دون مـــا عـــداها" [1].

فالإشارة التي أشار إليها القاضي عبد الجبار تحوي في عمقها الدلالي عدة جهات، لعل من أهمها أثرا ما يأتي:

- فكرة الضم فكرة أحادية فردية سار عليها القلم العربي منذ زمن طويل، وهي الفكرة التي سارت مع طبيعة واقع اللغة بما بثّه الله تعالى فيها من أسرار ربانية لازمت هي الأخرى وحدة الوجود الكوني في المقصد الذي يتماشى مع رضا الله تعالى، وهو تحقيق رضاه فحسب، والرضا حقيقة فردية أحادية لا يمكن بحال من الأحوال أن تقبل التعدد.
- الضمّ لا يكون إلا في ذات الشيء؛ فهو ما لازم الذات على جهة الإفراد لا الجمع–التعدد– وهو الأمر الذي جعل القاضي عبد الجبار يعطي فرقا واضحا بين الضم القائم في فصاحة الكلام والقائم في أفراد الكلام، والحقيقة بارزة فما قام في ذات الشيء يظل باقيا محافظا على أصله الأول الذي وجد فيه؛ ثم إذا أريد من الشيء القائم في الذات أن يأخذ شيئا من لوازم التغيير والتعدد والاختلاف راح يسير وفق مبدأ الجمع والتعدد، وهو ما لا يتماشى مع حقيقة المفرد.
- ثم إنّ اللفتة اللطيفة في شأن ما يحمله المفرد في ذات اللفظ– أي المفهوم أو الإطلاق– على حد تعبير القاضي، أن يحمل في داخلة عدة جهات لا يمكن أن يقبل غيرها، تماما ما بينّه القاضي في شأن مفهوم الضم الذي له في داخله من حيث السر ثلاث جهات فقط.

(1) المغني في أبواب التوحيد والعدل 199/19، وينظر: المعجزة الكبرى القرآن 92، وأساليب بلاغية 71.

لذا يمكن القول: إنّ فكرة إفراد الصيغة لكلمة ما في مقابل ضدّها المجموع في لغة القرآن الكريم تبقى لغة غير واضحة ومبهمة إذا ما اعتمدت على تعليل واحد خاصة وأنها وردت في مئة وثمانين آية. والله أعلم.

إفراد النور وجمع الظلمات[1]:

قال تعالى:﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ﴾ الأنعام: 01. بالرجوع للمعاجم وكتب اللغة تجد فيها أَنّ النُّور يجمع على (أنوار)، وجمعت الظُّلْمة على (ظُلَم) كَصُرَد و(ظُلُمات) بضمتين، وظُلَمات، وظُلْمات[2] .

قال ابن دريد :" والنَّوْر: زهر النبت، وَالْجمع أنوار، وَكَذَلِكَ جمع النُّور أنوار أَيْضا"[3].

وقال أبو بكر الأنباري:" ويقال في جمعِ النور: أنوار، ويقال في جمع النور الذي هو خلاف الظلمة أيضًا: أنوار" [4].

إنَّ لغة القرآن الكريم لم تذكر مفردة "النور" إلاّ بصيغة الإفراد (النُّور) فلم ترد جمعاً في القرآن الكريم قط، أمّا (الظُّلْمة) فقد جُمِعت، وفُسّرت بمقاربات تكاد تكون واحدة المعنى، إذ ذهب المفسّرون إلى أَنّ طريق النّور واحد، وهو الحقُّ والهداية.. ، بينما تشعبت طُرُق الظلمات، ومن ذلك .

قال الثعلبي:" جمع" الظُّلُماتِ" ووحَّدَ" النُّورَ" لأن الظلمات لا تتعدى والنور يتعدى " [5].

([1]) من أسرار التعبير القرآني 143.

([2]) لسان العرب (نور)

([3]) جمهرة اللغة (رنو) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (نور).

([4]) المذكر والمؤنث 528/1،

([5]) الكشف والبيان عن تفسير القرآن 4/ 132، والجامع لأحكام القرآن 386/6، و روح البيان 2/3.

والسبب في ذلك: أن طريق النور واحد، وهو طريق الجنة، أما طرق الظلمات فهي شتى ومختلفة، لذلك جُمعت "الظلمات" وأُفرِدَ لفظ " النور"[1].

وقال الشوكاني: " وجمع الظلمات مع إفراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق " [2].

وذهب ابن عاشور إلى القول:" وإنما جمع الظلمات وأفرد النور اتباعا للاستعمال، لأن لفظ (الظلمات) بالجمع أخف، ولفظ (النور) بالإفراد أخف، ولذلك لم يرد لفظ (الظلمات) في القرآن إلا جمعا"[3] .

وقيل: جمع الظلمات وأفرد النور لسر بلاغي عجيب. وهو ينطوي على الإشارة إلى وحدة الحق وتعدد أنواع الظلمات التي هي الضلالات وما أكثرها، ولأن طريق الحق واضحة المعالم لا لبس فيها، ولا تشعّب في مسالكها أما طريق الضلال فهي ملتبسة على من يسلكها [4].

والمقصود أن الطريق إلى الله تعالى واحد، فإنه الحق المبين والحق واحد، مرجعه إلى واحد. وأما الباطل والضلال فلا ينحصر، بل كل ما سواه باطل، وكل طريق إلى الباطل فهو باطل، فالباطل متعدد، وطرقه متعددة.

وخلاصة القول: إنّ الله تعالى وحّد النور في القرآن تبعا لوحـــدة مصدره، وهـو " الله ". قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ النور: 35.

([1]) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان 150/4.

([2]) ينظر: فتح القدير 397/4، ومحاسن التأويل 195/2.

([3]) التحرير والتنوير 127/7،

([4]) ينظر: البرهان في علوم القرآن 12/4، وإعراب القرآن وبيانه 1/ 390.

و أما الجهل والكفر والظلام فقد تعددت أسبابها ومصادرها؛ ولهذا تعددت الظلمات تبعا لتعدد مصادرها[1]، ويؤيدها قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ الأنعام: 153 .

إفراد اليمين وجمع الشمال:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ النحل: 48.

نلاحظ في هذه الآية الكريمة إفراد اليمين وجمع الشمال؟ هذه المسألة بحثها القدامى وسأذكر ما قاله العلماء في هذا الباب:

قال الفراء: " فوحّد اليمين وجَمَع الشمائل. وكل ذَلِكَ جائز فِي العربية. قَالَ الشاعر:

بِفِي الشامتين الصخر إن كَانَ هدّني *** رَزِيّة شِبْلَيْ مُخْدر فِي الضراغم . [2]

لم يقل: بأفواهِ الشامتين. وقال الآخر:

الواردون وتيم في ذرا سبأ **** قد عضَّ أعناقَهم جلدُ الجواميس [3]

فجمع وَوَحَّد. فجاء التوحيد؛ لأن أكثر الكلام يُواجه بِهِ الواحد، فيقال: خذ عَن يمينك وعن شِمالك لأن المكلم واحد والمتكلّم كذلك، فكأنه إذا وَحّد ذهب إلى واحد من القوم، وإذا جَمَع فهو الَّذِي لا مسألة فِيهِ"[4]. فعبر عن أحدهما بلفظ الواحد كقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾

(1) ينظر: من أسرار التعبير القرآني 143، و خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية 2/ 397 .

(2) ديوان الفرزدق 764.

(3) ديوان جرير 252.

(4) معاني القرآن للفراء 199/2، و جامع البيان عن تأويل آي القرآن 14/ 243، و خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب 561/7.

الأنعام:01. وقــوله: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞ ﴾ البقرة: 07.

ذكر السمين الحلبي: " بأن الابتداء يقع من اليمين وهو شيء واحد، فلذلك وحد اليمين ثم ينتقص شيئا فشيئا، حالا بعد حال فهو بمعنى الجمع، فصدق على كل حال لفظة "الشمال"، فتعدد بتعدد الحالات " [1].

وذهب الزمخشري إلى القول: "واليمين بمعنى الأيمان"، يعني أنه مفرد قائم مـقام الجمع، وحينئذ فهما في المعنى جمعان كقــوله: ويولون الـدبر، أي: الأدبار " [2].

" إذا فسرنا اليمين بالمشرق كانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها، فكانت اليمين واحدة، وأما الشمائل فهي عبارات عن الانحرافات الواقعة في تلك الظــلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة، فلذلك عبر عنها بصيغة الجمع" [3].

قال الكرماني: "يحتمل أن يراد بالشمائل الشمال والخلف والقدام؛ لأن الظل يفيء من الجهات كلها، فبدئ باليمين لأن ابتداء التفيؤ منها أو تيمنا بذكرها، ثم جمع الباقي على لفظ الشمال لما بين اليمين واليسار من التضاد، ونزل القدام والخلف منزلة الشمائل لما بينهما وبين اليمين من الخلاف" [4].

وقال ابن عطية:" وما قال بعض الناس: من أن اليمين أول وقعة للظل بعد الزوال ثم الآخر الغروب هي عن الشمائل، ولذلك جمع الشمائل وأفرد اليمين،

([1]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 230/7، واللباب في علوم الكتاب 69/12.

([2]) البحر المحيط في التفسير 538/6، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون 230/7.

([3]) الدر المصون 231/7.

([4]) البحر المحيط في التفسير 538/6، و الدر المصون 7/، و روح المعاني 394/7.

فتخليط من القول، ويبطل من جهات. وقال ابن عباس: إذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس ومغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا، فقبض إليه الظل، فعلى هذا فأول ذرور الشمس فالظل عن يمين مستقبل الجنوب، ثم يبدأ الانحراف فهو عن الشمائل؛ لأنه حركات كثيرة وظلال متقطعة فهي شمائل كثيرة، فكان الظل عن اليمين متصلا واحدا عاما لكل شيء"[1].

قال ابن الضائع: «أفرد وجمع بالنظر إلى الغايتين؛ لأن ظل الغداة يضمحل حتى لا يبقى منه إلا اليسير، فكأنه في جهة واحدة، وهي في العشي على العكس لاستيلائه على جميع الجهات، فلحظت الغايتان في الآية. هذا من جهة المعنى، وأما من جهة اللفظ ففيه مطابقة؛ لأنَ كلمة "سُجَّداً " جمع فطابقه جمع الشمائل لاتصاله به، فحصل في الآية مطابقة اللفظ للمعنى ولحظهما معا، وتلك الغاية في الإعجاز» [2].

وذهب ابن القيم رحمه الله إلى القول: مصطلحات بين الإفراد والجمع مما يدخل في هذا الباب جمع الظلمات وإفراد النور وجمع سبل الباطل وإفراد سبل الحق وجمع الشمائل وإفراد اليمين.

الأول: مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ الأنعام:01 .

وأما الثاني: كقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ الأنعام: 153.

والثالث: كقوله تعالى:﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ ﴾ النحل: 48 . والجواب عنها يخرج من مشكاة واحدة، وسر ذلك – والله أعلم– أن طريق

([1]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 398/3، والبحر المحيط في التفسير 538/6.

([2]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 231/7.

الحق واحد وهو على الواحد للأحد كما قال تعالى:﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾ الحجر: 41.

قال مجاهد: الحق طريقه على الله ويرجع إليه كما يقال طريقك عليَّ، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ النحل: 09. وفي أصح القولين أي: السبيل القصد الذي يوصل إلى الله وهي طريق عليه. قال الشاعر:

فهن المنايا أي واد سلكنه **** عليها طريقي أو علي طريقها [1]

قد قررت هذا المعنى وبينت شواهده من القرآن وسر كون الصراط المستقيم على الله وكونه تعالى على الصراط المستقيم كما في قول هود عليه السلام: قَالَ تَعَالَى:﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ هود: 56.

والمقصود أن طريق الحق واحد إذ مرده إلى الله الملك الحق، وطرق الباطل متشعبة متعددة، فإنها لا ترجع إلى شيء موجود ولا غاية لها يوصل إليها بل هي بمنزلة بنيات الطريق، وطريق الحق بمنزلة الطريق الموصل إلى المقصود، فهي وإن تنوعت فأصلها طريق واحد ما كانت الظلمة بمنزلة طرق الباطل والنور بمنزلة طريق الحق، ولذلك فقد أفرد النور وجمعت الظلمات وعلى هذا جاء قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ البقرة: 257 .

قال ابن القيم:" وحَد ولي الذين آمنوا وهو الله الواحد الأحد، وجمع الذين كفروا لتعددهم وكثرتهم، وجمع الظلمات وهي طرق الضلال والغي؛ لكثرتها واختلافها، ووحد النور وهو دينه الحق وطريقه المستقيم الذي لا طريق إليه سواه. ولما كانت اليمين جهة الخير والفلاح وأهلها هم الناجون أفردت، ولما كانت

(1) لم ينسب لأحد . ينظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد 127/1، وتفسير القرآن الكريم 19.

الشمال جهة أهل الباطل وهم أصحاب الشمال جمعت في قوله: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ النحل: 48. فإن قيل: فهلا كذلك في قوله: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ الواقعة: 41.

ما بالها جاءت مفردة. قيل: جاءت مفردة؛ لأن المراد أهل هذه الجهة ومصيرهم ومآلهم إلى جهة واحدة، وهي جهة الشمال مستقر أهل النار والنار من جهة الشمال، فلا يحسن مجيئها مجموعة؛ لأن الطرق الباطلة وإن تعددت فغايتها المرد إلى طريق الجحيم وهي جهة الشمال، وكذلك مجيئها مفردة في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى:﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ق: 17.

لما كان المراد أن لكل عبد قعيدين قعيدا عن يمينه وقعيدا عن شماله يحصيان عليه الخير والشر، فلكل عبد من يختص بيمينه وشماله من الحفظة فلا معنى للجمع ههنا. وقد قال بعض الناس: إن الشمال إنما جمعت في الظلال وأفرد اليمين لأن الظل حين ينشأ أول النهار يكون في غاية الطول يبدو كذلك ظلا واحدا من جهة اليمين، ثم يأخذ في النقصان، وأما إذا أخذ في جهة الشمال فإنه يتزايد شيئا فشيئا، والثاني منه غير الأول فلما زاد منه شيئا فهو غير ما كان قبله فصار كل جزء منه كأنه ظل فحسن جمع الشمائل في مقابلة تعدد الظلال وهذا معنى حسن" [1].

والرأي الذي تطمئن النفس إليه: أن كلمة "اليمين" جاءت مفردة، بينما كلمة" الشمال" جاءت جمعا، لأن جهة "اليمين" تعني جهة الخير والفلاح، وأهلها هم

(1) بدائع الفوائد 1/119-121.

الناجون، ولهذا جاءت مفردة. ولما كانت جهة " الشمال" تعني جهة الباطل، والباطل منافذه شتى وطرقه كثيرة ومختلفة، فقد جُمِعَت [1]. والله أعلم.

إفراد السمع وجمع الإبصار:

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ النحل: 78.

جاء السمع في الكتاب العزيز مفرداً دائمًا، والإبصار يكون جمعا دائما، والقياس في تصورنا أن يكون الكلام: وجعل لكم السمع والبصر، أو الأسماع والأبصار، فلماذا جاء هذا مفردا، وذلك جمعا، وما هي الحكمة أو الوجه الإعرابي أو الإعجازي لكون أحد اللفظين يأتي بالمفرد والآخر بالجمع.

ذهب أبو حيان إلى القول: " إما لكونه مصدرا في الأصل فلمح فيه الأصل، وإما اكتفاء بالمفرد عن الجمع؛ لأن ما قبله وما بعده يدل على أنه أريد به الجمع، وإما لكونه مصدرا حقيقة وحذف ما أضيف إليه لدلالة المعنى أي حواس سمعهم " [2].

قال الشهاب[3]: " أفرد السمع في النظم وجمع غيره لاتحاد المدرك به وهو الأصوات، وتعددت مدركات غيره، ولأنه في الأصل مصدر، وأيضاً مسموعهم من الرسل متحد " [4].

وقال الزركشي:" ومنها إفراد السمع وجمع البصر كقوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ البقرة: 07. لأن السمع

([1]) ينظر: من أسرار التعبير في القرآن 144.

([2]) البحر المحيط في التفسير 1/ 81، وينظر: فتح القدير 219/3، و فتحُ البيان في مقاصد القرآن 290/7.

([3]) شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت 1069هـ).

([4]) محاسن التأويل 451/8.

غلب عليه المصدرية فأفرد بخلاف البصر فإنه اشتهر في الجارحة وإذا أردت المصدر قلت أبصر إبصارا ولهذا لما استعمل الحاسة جمعه بقوله يجعلون أصابعهم في آذانهم وقال وفي آذاننا وقر وقيل في الكلام حذف مضاف أي على حواس سمعه، وقيل لأن متعلق السمع الأصوات وهي حقيقة واحدة ومتعلق البصر الألوان والأكوان وهي حقائق مختلفة فأشار في كل منهما إلى متعلقه، ويحتمل أن يكون البصر الذي هو نور العين معنى يتعدد بتعدد المقلتين ولا كذلك السمع فإنه معنى واحد ولهذا إذا غطيت إحدى العينين ينتقل نورها إلى الأخرى بخلاف السمع فإنه ينقص بنقصان أحدهما" [1].

وقال ابن عاشور: " فلما عبر بالسمع أفرد لأنه مصدر بخلاف القلوب والأبصار فإن القلوب متعددة والأبصار جمع بصر الذي هو اسم لا مصدر، وإما لتقدير محذوف أي: وعلى حواس سمعهم أو جوارح سمعهم. وقد تكون في إفراد السمع لطيفة روعيت من جملة بلاغة القرآن هي أن القلوب كانت متفاوتة واشتغالها بالتفكر في أمر الإيمان والدين مختلف باختلاف وضوح الأدلة، وبالكثرة والقلة وتتلقى أنواعا كثيرة من الآيات فلكل عقل حظه من الإدراك، وكانت الأبصار أيضا متفاوتة التعلق بالمرئيات التي فيها دلائل الوحدانية في الآفاق، وفي الأنفس التي فيها دلالة فلكل بصر حظه من الالتفات إلى الآيات المعجزات والعبر والمواعظ، فلما اختلفت أنواع ما تتعلقان به جمعت. وأما الأسماع فإنما كانت تتعلق بسماع ما يلقي إليها من القرآن فالجماعات إذا سمعوا القرآن سمعوه سماعا متساويا وإنما يتفاوتون في تدبره، والتدبر من عمل العقول فلما اتحد تعلقها بالمسموعات جعلت سمعا واحدا "[2] .

([1]) البرهان في علوم القرآن 358/3.

([2]) التحرير والتنوير 1/ 255.

وقال أيضا: " والسمع مصدر دال على الجنس فكان في قوة الجمع، فعم بإضافته إلى ضمير المخاطبين ولا حاجة إلى جمعه. والأبصار جمع بصر، وهو في اللغة العين على التحقيق. وقيل: يطلق البصر على حاسة الإبصار ولذلك جمع ليعم بالإضافة جميع أبصار المخاطبين، ولعل إفراد السمع وجمع الأبصار جرى على ما يقتضيه تمام الفصاحة من خفة أحد اللفظين مفردا والآخر مجموعا عند اقترانهما، فإن في انتظام الحروف والحركات والسكنات في تنقل اللسان سرا عجيبا من فصاحة كلام القرآن المعبر عنها بالنظم" [1].

وردت عدة حكم وعلل في الحكمة من إفراد السمع وجمع الأبصار، ويبقى السؤال قائما: لماذا أفرد "السمع" وجمع "الأبصار"؟ فقد قيل: أفرد السمع لأنه مصدر، والأصل فيه الإفراد، أما الأبصار فإنما هي اسم ومفردها بصر....، وهذا لا تطمأن له النفس؛ لأنك تلاحظ أن العلماء كان كل واحد منهم ينقل ما قاله الذي قبله، وقد تتبعت المعاجم اللغوية تاريخيا فلاحظت أن المعاجم جمعت السمع على (أَسْمُع، وأَسْماع، وأَسَامِع)[2].

قال ابن الأثير:" وأَسَامِعُ: جَمْعُ أَسْمُع، وأَسْمُعٌ: جمعُ قِلَّة لِسَمْعٍ " [3]. ولذا ما تطمئن له النفس: أنه جاء مفردا لأن الأذن ليس لها غطاء يحجب عنها الأصوات، كما للعين غطاء يُسْدل عليه ويمنع عنها المرئيات، فإنه سمع واحد لكل من يسمع، فالكل يسمع صوتاً واحداً، أما المرئيات فمتعددة، فما أنا قد لا تراه أنت. والله أعلم.

([1]) التحرير والتنوير 234/7.

([2]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (سمع)، غريب الحديث 225/2، و تهذيب اللغة (ع س م).

([3]) النهاية في غريب الحديث والأثر (سمع)، و تاج العروس من جواهر القاموس (سمع) .

إفراد الصديق وجمع الشافع.

ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ الشعراء: 101. وقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ النور: 61 .

قال المبرد:" تقول في نصيب أَنْصباءُ وفي صديق أَصْدِقاءُ وفي كريم كُرَماءُ وفي جليس جُلَساء "[1]. وجاء في الجمهرة:" وَقد جمعوا صديقا على الْقيَاس: أصدقاء، وجمعوه على غير الْقيَاس: أصادِق" [2].

وجاء في شرح شافية ابن الحاجب: " ويجمع على(أفْعِلاء) نحو: أَصْدِقَاء، في جمع: صَدِيق" [3]. فالقياس أن تجمع" صديق" على "أصدقاء" لكن القرآن الكريم لم يجمعها لمعنى لطيف. وذكر القرطبي في تفسيره:" وجمع الشافع لكثرة الشافعين ووحد الصديق لقلته؛ ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم مضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته؛ رحمة له وحسبة وإن لم تسبق له بأكثرهم معرفة، وأما الصديق فهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما يهمك فأعز

(1) المقتضب 30/1.

(2) جمهرة اللغة (دصق)، و المقصور والممدود 14.

(3) شرح شافية ابن الحاجب 451/1.

من بيض الأنوق..، ويجوز أن يريد بالصديق الجمع"[1] . وذهب بعض المفسرين قالوا: أفرد الصديق لأنه لا يوجد الصديق الحميم أو لقلته [2].

ولذلك يمكن القول: إنّ الله سبحانه وتعالى أفرد الصديق؛ لأن الصداقة تجعل الأصدقـــاء كالواحد، حتى لو كان الأصدقاء مجموعة فهم في حكم الفرد الواحـــد؛ لأنهـــم في أرواحهـــم المتشاكـــلة كـــما قـــال النبي – صلى الله عليه وسلم–:« الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ.....» [3] فأرواح الأصدقاء تعارفت فتآلفت وأصبحت كالروح الواحدة[4]. والله أعلم .

النتائج:

1–إنَّ الكلمات التي تأتي على صيغة المفرد والقياس يتطلب الجمع قد حملت على أنها مصادر والمصادر لا تثنى ولا تجمع.

2–للسياق أهمية كبرى في توجيه المعنى المراد وصولا إلى المعنى من خلال التركيب.

3–تعد الفاصلة وجها من وجوه الإعجاز شكلا ومضمونا إضافة إلى المبنى والمعنى.

4–من أسباب إفراد الصيغة التعلل بالخفة أو الثقل لدى الكثير من العلماء دون التطرق للمزيد من المعاني.

5–يستعمل القرآن الكريم اللفظة المفردة في سياق الجمع في موضعه اللائق والمناسب ولو حاولنا التغير على القياس لفسد التعبير واختل النظم.

([1]) الجامع لأحكام القرآن 117/13، وينظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل 374.

([2]) ينظر: البحر المحيط 170/8، و نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد 173/1.

([3]) صحيح البخاري حديث رقم:(3336)، وصحيح مسلم حديث رقم: (2638).

([4]) ينظر: التحرير والتنوير: 203/18.

6–قد يعتمد التعبير القرآني في السياق بين الإفراد أو الجمع على الأخف والأجمل والأوقع في السمع، وبذلك يتحصل للمفردة معنا لم يكن في غيرها من الجمع.

8–إن استعمال المفردة أمر عجيب لا يمكن تعليله إلى قواعد أو منطق النحاة فأنت تحس لكل آية منطقها ومعناها الخاص الذي يبهرك وتعجز الكلمات عن التعبير.

المصادر و المراجع:

1. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1394هـ= 1974 م.

2. الأزمنة والأمكنة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: 421هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ= 1996م.

3. إعراب القرآن وبيانه إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ) دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، الطبعة: الرابعة 1415 هـ= 1994م.

4. أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب المملكة العربية السعودية – الرياض، الطبعة: الأولى، 1413 هـ= 1991 م.

5. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر،1999م.

6. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، لا ت.

7. البرهان في علوم القرآن البرهان في علوم القرآن أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، 1376 هـ =1957 م.

8. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ) المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

9. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،

أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) تحقيق: مجموعة من تحقيق ين، دار الهداية.

10. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى:1393هـ)، الدار التونسية للنشر –تونس1984 م.

11. تفسير ابن عرفة، لمحمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي (المتوفى: 803هـ) المحقق: د. حسن المناعي مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس الطبعة: الأولى، 1986 م.

12. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ= 2009م .

13. تفسير الشعراوي، خواطري حول القرآن الكريم، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ) مطابع أخبار اليوم، 1991م.

14. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

15. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: 1327هـ) المحقق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1406= 1985م.

16. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، و د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 2001 م.

17. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1964 م.

18. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م.

19. الحاوي في تفسير القرآن الكريم، جمعه وأعده: الأستاذ/ عبد الرحمن بن محمد القماش، رأس الخيمة.

20. الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (المتوفى: 521هـ) المحقق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، 1408هـ –1988م.

21. دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، إبراهيم محمد أبو سكين. (الشاملة).

22. ديوان الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس الفرزدق (المتوفى: 110هـ). المحقق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت 1410=1987م.

23. ديوان جرير، جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي اليربوعي (المتوفى: 110 هـ) دار بيروت للطباعة والنشر 1406 = 1986 م.

24. روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، المولى أبو الفداء (المتوفى: 1127هـ) دار الفكر، بيروت.

25. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1994م.

26. السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ =2003 م.

27. شرح شافية ابن الحاجب، لمحمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (المتوفى: 686هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية 1975 م.

28. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1987 م.

29. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد

بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة: الثانية، 1414 = 1993م.

30. صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (المتوفى: 256هـ) المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ= 2001م.

31. صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ت.

32. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756 هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1417 هـ = 1996 م.

33. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ) تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

34. فتح القدير محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414 هـ = 1993م.

35. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: ابن عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 2002 م.

36. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1998م.

37. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة 3: 1993م.

38. مباحث في علوم القرآن للقطان، مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ= 2000م.

39. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت،1420 هـ =1999م.

40. محاسن التأويل سلسلة محاسن التأويل، لأبي هاشم صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. (المكتبة الشاملة).

41. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لابن جني (المتوفى: 392هـ)، وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط1، 1999م.

42. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 –1422 هـ= 2001م.

43. المذكر والمؤنث، لسعيد بن إبراهيم التستري، البغدادي، النصراني، أبو الحسين الكاتب (المتوفى: 361هـ) تحقيق: احمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، الطبعة الأولى، 1403 هـ / 1983م.

44. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة: الأولى، 1986م.

45. المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار بن أحمد (المتوفى: 415 هـ)، مراجعة الدكتور: إبراهيم مدكور، إشراف: طه حسين، الشركة العربية، مصر، 1380هـ= 1959م.

46. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق وبيروت، الطبعة: الأولى – 1412 هـ= 1991م.

47. المقتضب، لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس،

المعروف بالمبرد (ت: 285هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط 1، 1415هـ =1994م.

48. المقصور والممدود، لابن ولاد أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد التميمي المصري (المتوفى: 332هـ) تحقيق: بولس برونله، مطبعة ليدن، 1900 م.

49. من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة، د. عبد الفتاح لاشين، ط1، دار المريخ للنشر، الرياض، 1983م.

50. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى –1996م.

51. النسق القرآني دراسة أسلوبية، د. محمد أديب الجاجي، مؤسسة علوم القرآن، المملكة العربية السعودية، ط1، 1431 هـ = 2010 م.

52. نصرة الثائر على المثل السائر، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: 764هـ).

53. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، لا ت.

54. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ = 1979م.